محمود السعدنى

(العبد لله)

* إن مستقبل الأدب الساخر فى مصر أفضل من الماضى .. فالوجود منه حالياً أفضل مما كان موجوداً فى الماضى *

محمود السعدني

obeikandl.com

obeikandl.com

* **محمود عثمان محمد على السعدنى .. (محمود السعدنى)**

*ولد يوم الأحد (**٢٥ من جمادى الأولى عام ١٣٤٦هـ ـ الموافق ٢٠ من نوفمبر سنة ١٩٢٧**) بمركز الباجور ـ محافظة المنوفية ..

* حصل على الابتدائية من مدرسة الجيزة الابتدائية ..

* حصل على الثقافة من مدرسة المعهد العلمى الثانوية بالقاهرة ..

* فى سنة **١٩٤٤** : اشتغل بمجلة « نداء الوطن » التى أصدرها «مصطفى عبد الهادى» بالقاهرة من سنة **١٩٤٦** حتى **١٩٤٧** ..

* فى سنة **١٩٤٧** عمل محرراً بـ «مسامرات الحبيب » الأسبوعية التى تأسست عام **١٩٤٥** حتى عام **١٩٥١** بالقاهرة .

* فى سنة **١٩٥٠** عمل فى « النداء » الأسبوعية التى أنشئت فى عام **١٩٤٧** حتى عام **١٩٥٥** .. بالقاهرة لصاحبها «يس سراج الدين» ..

* فى سنة **١٩٥٢** عمل فى « كلمة ونص » الأسبوعية التى أسسها «مأمون الشناوى» و «صلاح عبد الحميد» سنة **١٩٤٧** حتى عام **١٩٤٨** بالقاهرة .

* عمل فى سنة **١٩٥٢** فى «الجمهور المصرى» الأسبوعية التى أنشأها «أبو الخير نجيب » سنة **١٩٥١** حتى سنة **١٩٥٤** ..

* عمل فى مجلة « الستار» الأسبوعية التى أسسها « شفيق مرشاق » بالقاهرة سنة **١٩٤٩** ..

* فى عام **١٩٥٢** اشتغل فى مجلة « المصور » الأسبوعية التى أسسها «إميل ، وشكرى زيدان» بالقاهرة فى **٢٤** من أكتوبر سنة **١٩٢٤** ..

* فى سنة **١٩٥٣** عمل فى جريدة« القاهرة» اليومية التى أنشأها «أسعد داغر» و«إبراهيم الشنطى » سنة **١٩٥٣** ..

* من سنة **١٩٥٤** حتى سنة **١٩٥٥** اشتغل بمجلة « التحرير» الأسبوعية التابعة لإدارة الشئون العامة للقوات المسلحة منذ عام **١٩٥٢** ..

* من عام **١٩٥٥** حتى **١٩٥٨** عمل فى جريدة « الجمهورية » اليومية التى تأسست سنة **١٩٥٣** بالقاهرة ..

* من سنة **١٩٥٨** حتى عام **١٩٥٩** عمل فى مجلة «روز اليوسف» التى أسستها «فاطمة اليوسف» فى **٢٦** من أكتوبر سنة **١٩٢٥** .

* فى سنة **١٩٦٠** عمل فى مجلة « صباح الخير » الأسبوعية التى أسستها «فاطمة اليوسف » سنة **١٩٥١** بالقاهرة ..

* فى عام **١٩٧١** كان رئيساً لتحرير مجلة « صباح الخير » ..

* من سنة **١٩٧٣** حتى **١٩٨٢** عمل فى مجلة « روزاليوسف » مرة أخرى ..

* أحيل إلى المعاش سنة **١٩٨٧** ..

* **من مؤلفاته :**

١ - « السماء السوداء » صدر سنة **١٩٥٥** ..

٢ - « جنة رضوان » سنة **١٩٥٦** ..

٣ - « الجزائر أرض اللهب والدم » سنة **١٩٥٧** ..

٤ - « دولة الظرفاء » فى أغسطس سنة **١٩٥٨** ..

٥ - « بنت مدارس » سنة **١٩٥٨** ..

٦ - « ألحان السماء » أبريل سنة **١٩٥٩** ..

٧ - « الموكوس فى بلاد الفلوس » سنة **١٩٥٩** ..

٨ - « الأفريكى » ..

٩ - « الولد الشقى فى الطفولة » ..

١٠ - « الولد الشقى فى الصحافة » ..

١١ - « الولد الشقى فى السجن » ..

١٢ - «الولد الشقى فى المنفى » ..

١٣ - « حتى يعود القمر » رواية صدرت عام **١٩٦٣** ..

١٤ - « بلاد تشيل وبلاد تحط » سنة **١٩٦٦** ..

١٥ - « المضحكون » سنة **١٩٦٧** ..

١٦ - « السعلوكى فى بلاد الأفريكى » فبراير سنة **١٩٦٨** ..

١٧ - « مسافرعلى الرصيف » سنة **١٩٨٥** ..

١٨ - «خوخة السعدان » سنة **١٩٨٦** ..

١٩ - «رحلات ابن بطوطة » سنة **١٩٨٨** ..

٢٠ - « أمريكا يا ويكا »

٢١ - « حمار من الشرق »

أما المسرحيات :

١ ـ «فيضان النبع» سنة **١٩٥٧** ..

٢ ـ «عزبة بنايوتى» سنة **١٩٦١** ..

٣ ـ «النصابين» سنة **١٩٦٤** ..

٤ - « الأورنس » أو« البيلوبيف » سنة **١٩٦٨** ..

obeikandl.com

٥ - « بين النهدين » سنة **١٩٧١** .

*** المسلسلات الاذاعية :**

١ - « الجدعان » سنة **١٩٦٣** ..

٢ - « الواد الشقى »

٣ - « الشيخ لعبوط » ..

٤ - « بنت مدارس » ..

٥ - « آخر مملكة » ..

* * *

obeikandl.com

* من آثاره :

(الكاتب الجاهلى إياه)

اللهم ياذا المن ولايمن عليك ، اللهم بحق هذا الشهر الفضيل ، شهر شعبان المبارك ، أبتهل إليك أن تحيينى فناناً فى « لندن » ، وأن تميتنى فناناً فى «مصر» ..

فما أحلى الحياة فناناً فى بلاد الإنجليز ، وما أحلى الموت فناناً فى مصر .. فعندما تكون فناناً ولا مؤاخذة فى مصر ، فما أوكس حالك ، وما أتعب حياتك ، ستلقى من منافسيك حرباً ولا حرب البسوس ، وستأكل مقلباً ولامقلب «أبوموسى الأشعرى » ، وستعيش حياتك ممعوداً ممروضاً حتى يتوفاك الله ! فإذا توفاك الله ، قامت القيامة من أجلك ، ودبجت الأقلام قصائد المدح فى مناقب سعادتك ، وسيهرع الناس بالزهور إلى القبر الذى يضم رفاتك ، وسيقف على جثتك خطيب نحاسى الصوت يشير إلى نعشك ويقول :

ـ « **هنا يثوى فنان عبقرى كانت له غزوات ، وكانت له ندوات ، وقد رحل عنا إلى جنة الخلد ، فسلاماً وكلاماً وإيلام الخُلْفُ بينكما إيلاماً** ..وعندما أقول كلمة « فنان » فأنا لا أقصد نجمة السينما « نبوية شخلع » ، أو نجم التليفزيون « على أراجوز » اللى مناخيره قدّ الكوز ، أنا أقصد الفنان الحقيقى، وأقصد الكلمة بمعناها الأصلى ، وليس بمعناها الذى اخترعه حضرات نقاد السينما ، وحضرات محررى الصحف الفنية فى السنين الخالية !!

وقد يسأل سائل :

ـ ولماذا إذن ترجو وترغب أن تعيش فناناً فى « لندن » ؟

والجواب أيها السادة بسيط .. ففى « لندن » مثلاً ألف مسرح فى حاجة إلى ألف مؤلف وفى حاجة إلى خمسين ألف ممثل ، وفى « لندن» مثلاً ألف جرنال فى حاجة إلى ألف رئيس تحرير و إلى مائة ألف محرر ..

وفى « لندن » مثلاً مائة استديو فى حاجة إلى ألف فيلم ، وألف نجم ، وألف كوكب ، وعشرة آلاف ممثل أَرْزُقى ، ومليون نكرة وكومبارس ! . المسألة إذن ليست زحمة .. والقاعدة تحتمل مليون ، والقمة تحتمل أكثر من ألف ! .

وقد يسأل سائل مرة أخرى : وعلى هذا أيها الموكوس . اختفى العراك .. انتفى الخناق ، والناس هناك سواسية كأسنان المشط ، وكالمؤمن للمؤمن يشد بعضه بعضاً ، وأقول : لا ، وألف مرة لا ! .

هناك فى « لندن » خناق على وِدْنه ، وعِراك يا حفيظ ، ولكنه خناق على مستوى ، وعراك ولكن فنى ، الفنان هناك لا يتعارك مع فنان آخر ؛ لأنه سيلهف منه لقمة ، أو سيخطف منه رزقه ، ولكن الفنان هناك يتخانق مع نفسه، ويتعارك مع فنه ، فالفن بلا نهاية وبلا حدود ..

ولكى تتقن فَنَّك ينبغى أن تتخانق معاه ، و لكى تُجَوِّدْ فَنَّك يجب أن تتعارك مع نفسك ، لأن اليوم الذى ينبسط فيه الفنان من نفسه ، ويستمخ من إنتاجه ، ويقرأ نفسه ثم يقول : الله على كده ، ومافيش أحسن من كده ، فى هذا اليوم قُلْ على الفنان السلام .. أنا أعرف كُتَّاباً فى مصر لا يقرءون إلا مايكتبون ، وأعرف موسيقيين لا يسمعون إلا ما يصنعون ! . مصيبة كبرى نعم : ولكن هذا هو الذى يحدث ورب الأوبرا ..

والممثل هناك مثلا يلعب فيلماً فلا يراه ، وإذا رآه .. فلكى يحصى

الأخطاء ، ولكى يتعرف على مواطن الضعف فيه ! .

والكاتب هناك يكتب كتاباً فلا يعود إليه ، لأنه يعرف أن الكاتب لكى يكتب فلابد أن يقرأ ، والموسيقى هناك يضع القطعة ، فيسمعها الناس ، ويتفرغ هو لسماع ما وضعه الآخرون ؛ و لذلك يفشل الفنان هناك فلا ينتحر ولا يعتكف ولا يثور ؛ لأن جميع الفرص متاحة ، وجميع الأبواب مفتوحة ، وجميع الإمكانيات تحت رجليه ! . فإذا فشل . فالفشل فيه ، وهو الذى صنعه وهو الذى اخترعه ، وهو الذى شرب بمحض إرادته من برميل الفشل حتى توفاه الله ..

وهنا ـ يا ستار يا رحيم ـ يكسب « نجيب محفوظ » مثلا ألف جنيه فى كتاب فتقوم القيامة ، أو يبيع « عبد الرحمن الخميسى» أوبريت بألف جنيه ، فيلطم بعضهم على المطر الذى انهمر على نافوخ « الخميسى» ، أو يسترزق العبد لله فى حلقات فى الإذاعة بميتين جنيه ، فيعوى الذين يحبون العواء!..ويبيع عمنا الكبير « كامل الشناوى » قصيدة من قلبه بربعميت جنيه . فيصرخ هؤلاء ، الذين ليس لهم صنعة إلا الصراخ ..

ولكن فى « لندن » ، فياميت حلاوة على المكاسب ، ويا ميت صلاة الزين على الفلوس .. والقصاص يكتب قصة فيظل يقبض منها حتى يموت ، الرسام يرسم لوحة فيظل يحلب منها حتى يموت أحفاده .. الموسيقى يضع قطعة فيبنى من ورائها سراية ، ويشترى ضيعة ، ويقطع تذاكر طيارات طول العمر إلى مختلف بقاع الأرض ! .

والفنان هناك يستطيع لو أراد أن يذهب إلى شاطئ «الريفييرا » مثلاً فيخلع

ملابسه ، ويتلعبط على شاطئ البحر .. ويستطيع لو أراد أن يلف الكون كله ، فإذا راق له أن يتخلف فى « كينيا » نام فيها عامين ، فإذا ذهب إلى « المكسيك » فلا بأس من أن يقيم فيها سنة أخرى ، ففى جيبه فلوس ، فإذا أفلس ففى مخه مشروعات فنية يستطيع أن يبيعها ، وهى لا تزال مشروعات على ورق ..

ولكن كيف وصلوا هناك إلى هذا المستوى كله ؟ هل أصدروا قانوناً باحترام الفن والفنان ؟ .. أبداً لم يصدر بعد قانون من هذا النوع ، ولكن كل الحكاية أن الناس هناك تحترم الفن الرفيع وتتذوقه .. والناس هناك تنفق ربع دخلها الفرجة والقراءة ! . والفيلم الناجح قد يعرض فى « لندن » عشر سنوات .. والمسرحية الحلوة تستمر لمدة جيل .. والكتاب الجيد يبيع ربما خمسين مليون نسخة .. والمؤلف من دول يقبض عند البيع ، ويقبض خلال العرض ، وله نسبة على التذاكر وعلى البيع ! ..

والسينما ليست بالدور ، السينما هنا على المهل ، وعلى الكيف .. والسينما هناك على طول وعلى ودنه ، ولو تأخرت دقيقة فأنت ممنوع من الدخول ، والتدخين ممنوع فى السينما ، و كذلك أكل البيض وقرقشة السميط..

والمسرح هناك محترم ومهاب ، والتذكرة تدفع فيها خمسة جنيهات ، وتنتظر عشرة أسابيع لكى تعثر لنفسك على مقعد مناسب ، وتدفع جنيهين ونصفا فى آخر الصفوف وعلى الأقدام .. وعندما يبدأ التمثيل لا تسمع همسة ولاهسه ، وحتى الذى عنده زكام لا يذهب إلى المسرح ، فقد يضطر إلى الكحة، وهذا ذنب لو تعلمون عظيم ! ..

ولقد ذهبت أنا إلى المسرح « الرويال كورت» فى حى شلسى ودفعت فى

الكرسى أربعة جنيهات و بواسطة !. وجلست في الصف الأمامي لا أتنفس .. المسرح ضيق كأنه مكتب الست نهاد لا زخرفة و لا فخفخة ، و لا رسومات علي الجدران و لا أبسطة عجمي علي الأرض ، و لا واحد شحط و طالع جري وواحد تاني بيجري وراه .. على رأى عمنا المرحوم « بيرم التونسي » ..

و كانت الرواية المعروضة من تأليف «يونسكو» ، أحد الؤلفين الذين يثيرون ضجة الآن في أنحاء أوربا ..

الروايه اسمها « خروج الملك » ، و الرجل الذي يقوم بدور الملك هو العبقري « إليك جنيس » و أنتم تعرفونه فقد قام بدور البطولة في فيلم عظيم عرض هنا فى القاهرة اسمه «جسر علي نهر كواي » .. ولعب فيه دور ضابط إنجليزي برتبة جنرال .. و لقد كان الجنرال أرزقي ، فلم يكن له هدف في الحياة إلا أن يكون جنرال و السلام ..

و لذلك عندما أسره اليابانيون في الغابة خلعوا عنه ملابسه ، فرفض أن يتعاون معهم ، و أعلن الإضراب عن الطعام حتي الموت .. فلما عاد اليابانيون فألبسوه بدلته ، و وضعوا علي كتفه المقصات و النجوم . تعاون معهم حتي النهاية ، و اشترك معهم في دحر الإنجليز ومختلف أجناس الحلفاء ..

« إليك جنيس » هذا يحمل الآن لقب «سير» مثل سير «مايلز لامبسون » الذى كان يحكم مصر فى سالف العصر و الأوان ! ..وهو يظهر فى السينما : ولكن على مهله .. فيلم فى العام ، ربما فيلمين ، ربما ثلاثة أفلام .. ولكن لاتزيد ..

والمسرح هو دنياه وهو عالمه وهو كل شيء فى الحياة ..

وفى المسرح يلهف كل أسبوع مائة جنيه ، وفى السينما يلهف عدة ألوف من الجنيهات ، ولو كان « إليك جنيس » فى مصر مثلاً ، واشتهر فى المسرح القومى ، أو على خشبة مسرح « إسماعيل يس» فخطفه « حسن الإمام » إلى السينما .. أو استدرجه « سعد عرفه » إلى الأفلام ، لهجر « إليك جنيس » المسرح إلى الأبد ولسار وراء العباقرة مخرجى السينما ، ولظهر فى مائة فيلم من إنتاج مؤسسة « صلاح أبو سيف » ، ومائة فيلم أخرى من إنتاج عزرائينيلى أو زربادياللى ..

فأنا لشدة جهلى لا أدرى ماذا كان اسم هذا المنتج الهمام ! . ولقد كانت رواية « خروج الملك » من فصل واحد ولمدة ساعتين ، الممثلين كانوا ستة .. ثلاث سيدات وثلاثة رجال ، والملك « إليك جنيس » نفسه ظهر على رأسه تاج المملكة ، وفى يده صولجان ! ..

ولقد قرأ المنجم النصاب طالع الملك فأدرك أنه سيموت بعد ساعة ..وكان للملك زوجتان : إحدهما شابة جميلة ، والأخرى .. أعوذ بالله ! ولكن الشابة الجميلة كانت لطيفة وخفيفة ، وكانت تحب الملك حباً ولا حُب « ناعسة » لأيوب .. ولذلك اقترحت أن يتكتموا الخبر فلا يذيعوه ، ولكن المرأة الأخرى القبيحة كقرد ، الشمطاء كزوجة الأب ، السليطة اللسان كعقربة أبو رواش قررت و أصرت على أن تقول للملك كل شىء ..

وعندما جاء الملك .. ارتمت الزوجة اللطيفة بين أحضانه ، ووقفت المرأة الشمطاء تعلن له الحقيقة فى وضوح .. وعندما علم الملك أنه سيموت أخذ المسألة على أنها مجرد هزار ، فراح يضحك ويهزر ويتنطط كما اعتاد أن يفعل فى

كل يوم .. ولكنه عندما تأكد أنه سيموت .. راح يلطم كقرد ، ويولول كطفل ، ويبكى كمجذوبة فى مولد « الحُسَيْن » ..

وكلما تحرك عقرب الساعة إلى الإمام راح الملك الذى كان قوياً وعفياً يفقد قوته بالتدريج .. أوامره لم تعد تنفذ ، إرادته لم تعد نافذة ، كلمته لم تعد هى العليا ، تحول الملك العظيم يا ألف حسرة إلى مجرد رجل عادى يزحف ببطء نحو ملاك الموت .. عندئذ لجأ الملك إلى الشعب ، ووقف يخطب من شرفة قصره كالمجنون : «شعبى الكريم ، إن ملككم يموت .. إنه يموت .. من منكم أيها الناس ينقذ حياة الملك بحياته ؟ .. من منكم يضحى بحياته من أجل حياة الملك ؟ ..

ووقف يسترق السمع لعله يسمع هتاف الجماهير التى جاءت لإنقاذه ، وأخيراً سمع ضجة فى الفضاء فانشرح : « هاهم الناس الطيبون جاءوا لإنقاذى من الموت ، إن الشعب لن يترك مليكه يموت ، لقد كنت أعلم أن شعبى سيزحف ليفدينى بروحه » ..

ولكن المرأة الشمطاء هتفت من وراء ظهره ساخرة :

ـ أيها الملك المعتوه ، إن الذى تسمعه ليس إلا صدى صوتك ، ليست هناك جموع تزحف وليس أمامك مفر ، ستموت ، ولا بد أن تعلم أنك ستموت ..

عندئذ ينهار الملك ويجلس القرفصاء كأنه كلب وينخرط فى البكاء:

ـ « سأموت ، يا للكارثة ، ليت الزمن يعود إلى الوراء عشرة أعوام، ليته يعود إلى الوراء خمسة أعوام ، ليته يعود عاماً واحداً إلى الوراء ، ليته

يتراجع إلى الأسبوع الذى مضى ، ليته يتقهقر إلى الأمس ، ليته يتوقف عند الساعة التى انتهت » !..

ولكن الزمن لا يتوقف ، والساعة المعلقة على الحائط لا ترحم .. العقرب يتحرك ..وجهاز الساعة يدق ، وكل دقة تأكل من عمره ثانية ، وتلهف من عمره ثانية ، وتلهف من عمر الملك لحظة ، عندئذ ينهض كذئب واقفاً على قدميه مخاطباً شعبه الكريم :

ـ إذا مت فاهتفوا باسمى كل صباح .. انشدوا باسمى كل وقت ، ارفعوا صورتى على كل جدار ، اطبعوا وجهى على كل قطعة نقود.. أقيموا لى تمثالاً فى كل ميدان ،اذكرونى فى كل يوم ، كل يوم ، كل يوم وإلى آخر الزمن ..

فترد المرأة الشمطاء ساخرة من وراء ظهره :

ـ لعل هذا كله يعيدك مرة أخرى إلى الحياة ..

ويتمتم الملك وهو فى الذهول :

ـ نعم ، لعل هذا كله يعيدنى إلى الحياة ..

ويجلس فى النهاية على الأرض منهاراً كأنه جدار فى بيت العنانى ، وعلى الأرض كانت تجلس خادمة مسكينة تعمل فى قصر الملك منذ عشرة أعوام ، ولكنه لم يرها .. ولم يشعر بوجودها على الإطلاق .. ولكنه فى هذه اللحظة يراها جيداً ، ويشعر بها تماماً ، فيتحدث إليها :

ـ أنت أيتها البنت الحلوة .. ماأسعدك .. ستعيشين من بعدى ، وستتمتعين بالحياة ..

ولكن البنت الخدامة لا تحب الحياة ، وليست شغوفة بها على الإطلاق ..

- إننى لا أرجو أن أعيش .. كنت أتمنى أن أموت وأرتاح ..

- تموتين .. ويا للبنت البلهاء ، تتمنين الموت أيتها العبيطة .. إنك ستعيشين وستخرجين إلى الشارع كل يوم » ..

وتقول البنت :

- «هذا صحيح ، ولكننى سأخرج إلى الشارع لأشترى العيش والخضار» ..

- « ولكن ما أبهج أن يخرج الإنسان إلى السوق ويشترى كل شيء، سيدفع فلوساً ويأخذ الباقى ويلمسه بأصابع يديه » ..

- « ولكن هذه الفلوس الباقية ليست ملكى ، إنها فلوس السادة الذين أعمل لديهم أيها الملك العظيم » ..

- إذن يكفى جداً أنك ترتدين ملابسك كل صباح ..

- ولكن هذه الملابس خشنة وقديمة يا صاحب الجلالة ..

- إذن يكفى أنك ستدخلين حجرتك فى المساء ، وتجلسين قليلاً قبل أن تدخلى الفراش لتنامى حتى الصباح ، إنك حية ، يكفى أنك حية وأنى سأموت..

إن الملك المعتوه لا يريد أن يموت ، إنه يريد أن يعيش إلي أبد الدهر ، ولكن يا للمصيبة سيموت ، لا أحد يستطيع أن ينقذه ، ولا أحد يستطيع أن يفديه .. و يختفى من على المسرح كل الذين أحبهم ، الحارس العجوز الذى كان يتقدمه دائماً و يتبعه كظله ، و زوجته اللطيفة الخفيفة ، و الخادمة الغلبانة التى لا تدرك أهمية أن يكون الإنسان على قيد الحياة ، و لا يبقي فى المسرح إلا

الملك و الزوجة القبيحة ..

إنها تقف تتحداه كأنها قدره ، و هى لا تقف ساكنة ، و لكنها تزوده بنصائحها لكى يواجه مصيره المحتوم :

ـ « لقد تغيرت الأشياء أيها الملك العظيم ، و ما قُدِّر له أن يقع سيقع لا محالة ، و لقد عشت حياتك كملك ، و عليك أن تموت كملك » ..

و يبكي الملك و يرتجف ..

ـ أنا لا أريد أن أموت ..

و تتقدم المرأة العجوز المجربة نحو الملك ، و تنزع من علي كاهله كل ما يربطه بالحياة ، الصداقة ، العداوة ، الحب ، الكراهية ، المسئولية ، الزهو ، الغرور، كل شيء وأى شيء يربطه بالحياة ، ويهدأ الملك ويقف على قدميه مستقيماً كأنه عود قصب سليم مزروع فى أرض خصبة ! ..

وتشير المرأة القبيحة إلى كرسى العرش ..

ـ « اجلس هنا أيها الملك لتستقبل الموت ، كما كنت تستقبل زائريك» ..

تقولها وتختفى ، ولا يبين فى المسرح الآن إلا الملك على كرسى العرش ، ولكن حتى كرسى العرش لا يظل ثابتاً ، يتحرك هو الآخر ببطء والملك جالس عليه .. والمسرح نفسه يتغير: السقف ينهار ، وأعلام الملك تتمزق ، والرايات التى كانت تخفق تنطوى وتتناثر على الأرض ممزقة متسخة ، كأنما داست عليها الأقدام ، وسقف المسرح ينخلع لتبدو السماء رهيبة جليلة سوداء وساكنة ، لا نجوم تلمع ، ولاسحابة واحدة ، وكرسى العرش يدور حول نفسه ، وعندما يتم دورته نكتشف ، وأن الكرسى فارغ ، وأن الملك لا يجلس عليه .. لقد مات الملك ! ..

وعاصفة كالرعد من التصفيق تستمر فى المسرح ولمدة نصف ساعة..ويرتفع الستار وينخفض اثنتين وثلاثين مرة .. وبعد كل عدة مرات يختفى ممثل من على المسرح بنفس الترتيب الذى حدث على المسرح ، وفى النهاية لايبقى إلا الملك « جنيس » ، والأيدى المجنونة تكاد تتمزق من التصفيق ، والحناجر تكاد تنشق من الهتاف العظيم ! ..

وثلاثة أيام بعد هذه الرواية ورأسى من الداخل ساخنة كأنها فرن بوتاجاز ! . بهرنى الرجل الذى كان يمثل أمامى ، وبهرنى المسرح الذى كان يتحرك ويتمزق ويتلولو فى كل اتجاه ، وكأنما هو مسرح عفاريتى ، وكأنما هم ممثلون من الشياطين والجان ! ..

ولقد اختلف الناس فى «لندن » فى الهدف الذى قصد إليه « يونسكو » فى رواية « خروج الملك » .. ولقد كان معى ناقد وأديب وكاتب إنجليزى عاش فى مصر فترة طويلة و يجيد العربية كأبناء « بولاق » ..

قال لى ـ والعهدة عليه ـ: إن «يونسكو» يقصد بالملك « أوروبا » ، فهى الآن كامبراطورية « آل عثمان » مريضة تواجه ساعتها الأخيرة ، ولكنها لا تريد أن تعترف ! .. فلا تزال مُصِرَّة على أنها مركز الكون ، وأُم الحضارة والثقافة والعلوم والفنون ، والمسئولة عن جميع الأجناس والألوان ، وحامية كل المِلَل والأديان ..

إن « أوروبا »تموت ، وهى فى حاجة إلى امرأة قبيحة ولسان سليط ليواجهها بصراحة ..وليرشدها بوقاحة ، وليسدى إليها بنصائحه لكى تواجه الموت كقارة عظيمة مدى قرنين من الزمان ! ..

هذا مسرح جاد شهدت فيه زحاماً ولا زحام يوم الحشر ، واحتراماً من المشاهدين ولا احترام المصلين فى كنيسة القديس بطرس ، ثم رأيت مسرحاً آخر ضاحكاً مثل مسرح « إسماعيل يس » ، ونفس الزحام والتقديس والاحترام ..

القصة هايفة تعتمد على تداخل وتشابك الحوادث والشخصيات . قصة لاتحتاج إلى جهد ذهنى أو عقلى من الكاتب ، فهى فورمة محفوظة كلها تعقيد، ثم يأتى الحل فى النهاية ..

وفجأة ولسبب تافه حقير ! .. ولكن الإخراج والمناظر وطريقة التقديم والعرض تجعلك تجلس على كرسيك حتى النهاية ، وتجعلك تصفق بأقدامك قبل يديك ، وتدفعك دفعاً إلى أن تهتف من أعماقك لكل من ساهم ولو بجهد بسيط فى هذا الفن العظيم ! ..

وفى هذا الوقت من الصيف حيث كان «العبد لله» فى «لندن » ، كان سير « لورنس أوليفيه » يعمل على مسرح فى « ستراتفورد» مسقط رأس شكسبير العظيم وكان « جون جليمور » يعمل على مسرح فى قرية على بعد ستين ميلاً من لندن ، وكان فى العاصمة أكثر من سبعين مسرحاً تعمل كلها على قدم وساق ..

وكان الممثل الفرنسى العبقرى « شارل بواييه » يعمل على مسرح فى أطراف المدينة ، وكان فيلم « كليوباترة » يعرض منذ عام ، ولا يستطيع الحجز فيه إلا بعد شهرين .. وفيلم « لورانس » داير هو الآخر ، ولكن الحجز فيه سهل وإن كانت السينما دائما عامرة بالمتفرجين ..

ومع «لورنس» والست «كليوباترة» كان المخرج الأمريكى «هتشكوك» يصنع ضجة فى «لندن» بفيلم جديد اسمه «الطيور»، ومع هذا وذاك كما يقول الشيخ «مصطفى إسماعيل» كان أكثر من مائة فيلم جديد تعرض فى العاصمة «لندن»، وأكثر من مائة فيلم كمان تعرض فى الأقاليم، ولكن أغرب فيلم كان إنجليزى، وفاز بجائزة فى مهرجان، وفاز الممثل الأول فيه بقفة فلوس، الفيلم اسمه «السماء التى فوقنا».

والفيلم يحكى قصة واحد قسيس طيب ينبض قلبه بحب الخير .. ويموت غراماً فى دباديب الفقراء .. أراد أن يصنع شيئاً لهؤلاء الفقراء الإنجليز، فأقنع سيدة كان زوجها لورداً من اللوردات بأن تخصص كل أموالها لمساعدة الفقراء فى المدينة ..

وجاء جميع الفقراء فأقاموا فى قصر السيدة يأكلون ويشربون ويرتدون أفخر الثياب، وينامون طول النهار، ويسهرون الليل يلعبون القمار ويسرقون أى شىء وكل شىء .. وشيئاً فشيئاً انقلب نظام المدينة وتشقلب حالها، فقامت الثورة تطالب بشنق القسيس .. الأغنياء ثاروا لأن الفقراء جميعاً أصبحوا من الأغنياء .. فليس هناك خدم ولم يعد هناك عمال .. والتجار ثاروا لأن السيدة الغنية افتتحت فى المدينة متاجر تبيع بالمجان للفقراء، والفقراء أنفسهم ثاروا لأنهم لا يصلحون لشىء ولا ينفعون لشىء، لا النعمة تصلح حالهم .. ولا الراحة كافية لردعهم ولا النعيم يشفى نفوسهم التى انطبعت على اللؤم والخبث والفساد ..

وفى النهاية يهرب القسيس من المدينة ، فقد فشل فى إصلاح الفقراء ، ويضطر فى النهاية إلى ركوب صاروخ ينطلق به إلى الفضاء ، فرأسه تحمل أفكاراً لا تتسع لها الأرض ، ولكن قد تتسع لها السماء ! ..

فيلم مسموم وحقير وتافه غاية التفاهة ، أصدرحكماً قاطعاً لا نقض فيه ولا استئناف بأن الفقراء كلاب أولاد كلاب ، وأن الكون لا يستقيم ولا يستنير إلا إذا كان فيه أغنياء ينفقون الملايين على موائد القمار ، وفقراء يصلحون للخدمة فى بيوت الأغنياء ! .. ولذلك أخذ الفيلم الجائزة الأولى ، و تناول الممثل الأول فيه بدرة من المال نفحه إياها ملوك الصناعة والتجارة فى «لندن» كما كان يفعل « هارون الرشيد » فى الشعراء الذين يشيدون بعَدْله ، ويدبجون القصائد فى صفات الوالى الهمام ! ولكن أشهد أن القصة رغم أنها حقيرة فإن التمثيل كان فوق مستوى الشبهات ، والإخراج كان بارعاً ، والحوار كان أبرع ، والسيناريو كان فوق الجميع .. لدرجة أنك لو عرضت الفيلم على مجمع كرادلة الاشتراكية فى العالم ، لخرجوا من الفيلم يلعنون أبو الفقراء ، وأبو الذين يريدون إنصاف الفقراء ! ..

ولكن لأن الفن باهر ومضىء فى «لندن » .. ولأن الفنانين يلمعون فى سماء لندن كما تلمع النجوم فى سموات البلاد الحارة ، ولأن الفلوس تسيل من بين أصابع الفنان كما تسيل المجارى من «بكابورتات » شبرا ..

لهذه الأسباب ولغيرها من الأسباب ، يحدث كثيراً أن ينخدع إنسان فى نفسه فيظن أنه فنان ، ولكن بيته مخروب من يخطئ الميزان ، سيجوع ويصوع ويشرب سجاير فرط طول عمره ، ينام فى حديقة (هايد بارك) فى فصل

الصيف وينام فى السجن فى فصل الشتاء ، لأن الحياة الفنية فى لندن لا ترحم وأن تكون أو لا تكون ! ..

فاذا « كنت » ففى لندن لك الشهرة والمال و الصيت الذائع والعمر العريض ، وإذا لم « تكون » فيا ألف حسرة على شبابك ، ويا ألف نيلة على حياتك ، ويا ميت ألف صرمة قديمة على دماغ حضرتك [1] ..

obeikandl.com

(١) الموكوس فى بلاد الفلوس ..

(المضحكون)

زمان كان مدرس الحساب يعتقد أننى « حمار » وكنت أعتقد أننى «عبقرى » .

وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت أن المدرس كان على خطأ . واكتشفت أيضاً أن العبد لله لم يكن على صواب ..

فلا أنا عبقرى ولا أنا حمار ، بصراحة ، أنا مزيج من الاثنين :

« العبقرى » ، و « الحمار » .. أنا « حمقرى » !

ولأنى حمقرى ، فقد كنت أظن أن كل رجل ضاحك رجل هلاّس ..

ولأننى حمقرى ، كنت أرفع شعاراً حمقرياً : أنا أضحك .. إذن أنا سعيد» ..

وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت أن العكس هو الصحيح .. واكتشفت أن كل رجل ضاحك رجل بائس ، وأنه مقابل كل ضحكة تفرقع على لسانه، تفرقع مأساة داخل أحشائه ، وأنه مقابل كل ابتسامة ترتسم على شفتيه تنحدر دمعة داخل قلبه ..

والحزن رفيق للإنسان .. ولكن هناك حزن هلفوت ، وهناك أيضاً حزن مقدس .. وصاحب الحزن الهلفوت يحمله على رأسه ، ويدور به على الناس .. التقطيبة على الجبين .. والرعشة فى أرنبة الأنف .. والدمعة على الخدين .. يالالى ! وهو يدور بها على خلق الله يبيع لهم أحزانه .

وهو بعد فترة ، يكون قد باع رصيده من الأحزان وتخفف ، ويفارقه الحزن وتبقى آثاره على الوجه ، إكسسوار يرتديه الحزن الهلفوت ويسترزق ..

ولكن الحزن المقدس حزن عظيم ، والحزن العظيم نتيجة هموم عظيمة والهموم العظيمة لا تسكن إلا نفوساً أعظم .. والنفوس الأعظم تغلق نفسها على همها وتمضى .. وهى تظل إلى آخر لحظة فى الحياة تأكل الحزن ، والحزن يأكل منها ..

ويمضى الإنسان صاحب الحزن العظيم ـ ككل شىء فى الحياة ـ يأكل ويؤكل ، ولكن مثله لا يذاع له سر ..

وقد يمضى بسره إلى قبره ! . ولذلك يقال ما أسهل أن تبكى وما أصعب أن تضحك .. لأن البكاء يمكن أن يصبح مهنة ..

وما أكثر الهلافيت الذين يصعدون الأتوبيسات ، طالبين من راجل جدع أن يضع يده فى جيبه كرامة لسيدنا الحسين و سيدنا « إبراهيم الدسوقى » .. وأنا مسافر طنطا يا إخوان ، والفاتحة أمانة لكم عند « شيخ العرب » ،ثم .. ثم يبكى!!

ولذلك ستجد كل يوم عشرة آلاف رجل يبكون فى أتوبيسات مصر والصعيد و الإسكندرية ..

ولكنك ستنتظر كثيراً لكى تعثر على رجل يصلح « بلياتشو » فى «السيرك القومى » ..

وفى كل قرية ستجد مائة « معدِّدة » تجيد اللَّطم على الخدود بشقافة ، ولكنك لن تجد فى القرية إلا مُضحكاً واحداً ، هذا إذا عثرت عليه ..

ولكن هناك أيضاً ضحك مقدس ، وهناك ضحك هلفوت ..

الضاحك إذا كان حزيناً فى الأعماق صار عبقرياً ، و إذا كان مجدباً من الداخل أصبح بلياتشو يستحق اللطم على قفاه !.

ونحن أكثر الشعوب حظاً فى إنتاج المضحكين ، مصر العظيمة التى علَّمت الدنيا الحضارة ، وعلَّمت الناس الكتابة و القراءة ، وعلَّمت المؤمنين كيف يعبدون اللَّه ..

مصر العظيمة كان لها فى كل جيل عشرات من المضحكين ..

و لقد استطاع بعضهم أن يُخلَّد ، ولمع بعضهم حيناً ، ثم فرقع كبالونة منتفخة بالهواء !.

العبقرى هو الذى استمر ..

والحمقرى هو الذى لمع فترة ثم انطفأ ..

والحمار هو الذى مات عند الميلاد ..

لقد ولدت مصر فى هذا الجيل عشرات من المضحكين ، بعضهم أصيل ، و بعضهم مثل الذهب البندقى ، و بعضهم مثل الذهب القشرة .. [1] .

---

(١) المضحكون ..

obeikandl.com